العرب
الثلاثاء 2021/06/29
السنة 44 العدد 12104

عبير البطل.. صوت مغامر يصل موسيقى الشرق بالغرب

فنانة سورية تمزج حيوية الجاز بوقار الصوفية وقداسة الترانيم الكنسية

يعيش الغناء العربي مرحلة عبثية في حياتنا المعاصرة، وتدخل عليه الكثير من التشويشات الموسيقية والبصرية التي أخرجته عن صواب تقديم ما هو راق وجميل، ومع ذلك تظل هناك تجارب غنائية وموسيقية عربية لا تقطع الأمَل لدينا في إيجاد مخرج من هذه الأزمة الإبداعية. ومن هذه الإطلالات تجربة الفنانة السورية عبير البطل التي تحمل ملامح خاصة في خوض غمار أشكال فنية تتماهى فيها الموسيقى والغناء بين الحديث والقديم والصوفي والجاز.

صوت يتقن كل الأصناف الغنائية

نضال قوشحة
كاتب سوري

دمشق – عرف الغناء الصوفي في تاريخ الغناء العربي منذ القرن الثالث عشر، وقدّمت فيه تجارب غنية، واستمر وجوده التقليدي في الغناء العربي حتى الآن، وبرز فيه فنانون كبار ذكرتهم كتب التراث العربي.

الفنانة السورية قادرة على غناء العديد من الأنماط الموسيقية، في جمع بين القد الحلبي والترانيم الكنسية وموسيقى الجاز

وفي الغناء العربي المعاصر ظهرت بعض التجارب الغنائية الصوفية، كفرقة ابن عربي المغربية التي بدأت نشاطها عام 1988 ومازالت مستمرة حتى الآن، والمغني السوري عابد عازرية الذي يقدّم الغناء الصوفي العربي في أوروبا، والتونسي ظافر يوسف والفلسطينية الراحلة ريم بنا وكذلك السورية وعد بوحسون التي غنت الشعر الصوفي في معظم حفلاتها العالمية. ومن هذه التجارب تبدو تجربة عبير البطل مواكبة لنشاط كوكبة من الموسيقيين العرب الذين يقدّمون هذا الشكل الفني والذي يلاقي صدى طيبا لدى الجمهور العربي.

تنويعات موسيقية

بين رحاب الموسيقى العربية التقليدية والصوفية قدّمت عبير البطل حفلها الأحدث الذي أقامته في دار الأسد للثقافة والفنون (أوبرا دمشق) ونوّعت فيه برنامجها الغنائي في أشكال شتى، حيث شاركها في الحفل مجموعة من الموسيقيين الذين قدّموا معها توليفة موسيقية غنائية تحمل فيها ملامح المغامرة.

كانت البداية عبر الموسيقى التقليدية وفي قالب موسيقي عربي رصين من خلال معزوفة سماعي نهوند للمؤلف عدنان فتح الله، ثم بدأت البطل في تقديم مجموعة من الموشحات الكلاسيكية على غرار "يا ناعس الأجفان" و"ذا الأهيف المعجب" للشيخ عمر البطش و"هات أسقنيها من يديك" ليحيى السعودي، ثم قدّمت في قالب الدور "يا جريح الغرام" من لحن الشيخ زكريا أحمد.

وأتبعت ذلك بعدد من القدود القديمة مثل "ويلاه من سحر العيون"، وقدّمت في قالب الطقطوقة "كتر دلالك" عن لحن لبكري كردي و"يا حلو يا مسليني" عن لحن لعبدالله المسلوب، وفي تغيّر جوهري في مزاج الحفل انعطفت لتغني شعرا صوفيا للشريف الرضي، حيث غنت له "طيف الحبيب" ومن شعر سمنون المحب "قلبي خاليا"، ومن شعر ابن الفارض "شربنا على ذكر الحبيب مدامة".

وتميّز الحفل بتقديم مزاجين موسيقيين مستقلين كانا واضحي المعالم والتفاصيل، ففي القسم الأول من الحفل حضرت الأجواء الموسيقية التقليدية التي بنيت على توزيع موسيقي معتمد على الآلات الشرقية البحتة، فقدّمت ألحان عمر البطش وزكريا أحمد ويحيى السعودي وبكري كردي وعبدالرحيم المسلوب.

وفي القسم الثاني قدّمت البطل مغامرة موسيقية اعتادت تقديمها مع زملاء موسيقيين لها، مزجت فيها الموسيقى الشرقية بحضور واضح لمزاج الموسيقى الغربية من خلال شكل التقديم الموسيقي للأعمال الذي يترك مساحات منفردة للموسيقى الآلية وإمكانية الارتجال عليها، وكذلك في مسألة حضور بعض الآلات الغربية كما في القيثارة الكهربائية التي يبدو وجودها غريبا في حفل موسيقي وغنائي عربي كلاسيكي، لكنّ الأمر مختلف عند البطل وفرقتها اللذان قدّما نسيجا إيقاعيا مُتناغما يصل الموسيقى العربية بنظيرتها الغربية دون السقوط في نشاز المقامات.

كذلك اعتمد الإخراج الموسيقي في الحفل الذي أعده نارك عباجيان على تقديم مزج بين الموسيقى والغناء، فبدأ الحفل بالموسيقى العربية الكلاسيكية ثم غنّت البطل، لكن الموسيقى الصرفة لم تغب عن مسامع الجمهور على امتداد زمن الحفل، وذلك من خلال ارتجالات موسيقية كانت تتخلل وصلات الغناء، فقدّم عازف الكمان عمار يونس مجموعة ارتجالات اعتمدت تكنيكا عاليا وأضافت لجو الحفل جمالا.

والأمر ذاته كان مع عازف الكونترباص باسل شحادة الذي قدّم ارتجالات في العزف على هذه الآلة عريضة الصوت والتي أوجدت بدورها مزاجا جديدا في الحفل، وكان اللافت ما قدّمه عازف الأكورديون وسام الشاعر الذي عزف ارتجالات لحنية غاية في التفرّد وظهرت الآلة بين يديه بشكل غير معهود.

وشارك في تقديم الحفل الأحدث لعبير البطل كل من: عمار يونس، وسيم الإمام، باسم الجابر، وسام الشاعر، علاء العبدلله، جواد حريتاني، مازن حمزة، رواد جلول وماهر عامر.

حضور درامي

يبدو المشهد الدرامي السوري زاخرا بالتجارب الموسيقية الغنائية التي صارت لها نكهة مميزة، فمع انحسار وجود الإنتاج الفني في جانب الغناء والموسيقى اتجه بعض المؤلفين لوضع ألحان في الدراما حقّقوا من خلالها نجاحات كبيرة، معتمدين على مجموعة من الأصوات التي قدّمت الغناء بصورة غنية.

والمشهد الغنائي السوري يحفل بأسماء لامعة حضرت فيها الأصوات الأنثوية بقوة، منها: لبانة قنطار ونعمى عمران ورشا رزق وسوزان حداد وديمة أورشو ونورا رحال وليندا بيطار وميس حرب وأليسار سعيد ووعد بوحسون والراحلة ميادة بسيليس، وأيضا عبير البطل التي ساهمت كذلك في فن السينما فكانت بطلة لأول فيلم موسيقي تنتجه المؤسسة العامة للسينما في تاريخها حمل عنوان "ليلى" (2012) كتبه رياض عصمت وأخرجه محمد عبدالعزيز.

وغنت فيه أعمالا استعراضية ألفها سمير كويفاتي، وشاركها البطولة فيه كل من حازم زيدان وريم عبدالعزيز وجوان خضر ومحمد خير الجراح وميرنا معلولي وفنانة رقص الباليه يارا عيد، ولكن الفيلم لم يعرض حتى تاريخه لأسباب إنتاجية.

أما في الدراما التلفزيونية فقدّمت مسلسل "وراء الوجوه" الذي غنّت فيه شعرا كتبه الفنان بسام كوسا في تجربة نادرة ووضع اللحن له رعد خلف، وقدّمت مع المؤلف الموسيقي طاهر ماملي شارتي مسلسلي "أهل الغرام" في جزئه الثالث وشارة النهاية في مسلسل "الغريب".

كما جسّدت شخصية الملكة زنوبيا في أوبريت "الدم.. حبر الحقّ"، إضافة إلى شارة مسلسلي "ما وراء الوجوه" و"أحمر" وأغنية "لا تغيب".

وقبل الدراما التلفزيونية والسينما تبدو تجربة البطل غنية بتفاصيلها، فهي إحدى المغنيات السوريات الأكاديميات التي تواظب على الظهور في العديد من المنابر الغنائية. فتظهر مرنّمة في الغناء الكنسي وكذلك في الغناء العربي الكلاسيكي وفي الغناء الحديث العربي وكذلك في غناء الجاز، كما قدّمت مساهمات في الغناء غير العربي. وتقدّم نشاطها على منصات المسارح ودور الأوبرا. وتحمل عناوين نشاطاتها الكثير من الجهد والتلوّن.

وهي التي قدّمت خلال أعياد الفصح الأخيرة ترنيمات كنسية حملت عنوان "نور بعد الظلام" بمشاركة المرنم ليفون عباجيان، كما قدّمت في شكل الغناء الكنسي ترانيم بعنوان من "مشرق المشارق". وكانت حاضرة مع بعض الأصوات الشابة في حفل تكريم الشاعر بدوي الجبل، حيث غنّت معها بعضا من قصائده الملحنة الشهيرة.

«ديفا: من أم كلثوم إلى داليدا».. معرض باريسي يحتفي بأيقونات الفن العربي

يواصل معهد العالم العربي بباريس احتفاءه بنجمات الموسيقى والسينما في العالم العربي عبر معرض ضخم حمل عنوان "ديفا: من أم كلثوم إلى داليدا"، ضمّ صورا ومقتنيات لأشهر نجمات السينما والغناء العربيات اللاتي غيّرن نظرة المجتمع الشرقي لفنون الغناء والرقص والتمثيل، وساهمن في إرساء الأفكار والتنظيرات الداعية لتحرير المرأة من السلطة الذكورية السائدة في أواخر القرن التاسع عشر.

باريس – يكرّم معهد العالم العربي في باريس مجموعة من نجمات الغناء والسينما اللاتي حفرن أسماءهنّ في تاريخ الفن العربي مثل كوكب الشرق أم كلثوم ووردة الجزائرية وفيروز وداليدا وسعاد حسني، وذلك في معرض حمل عنوان "ديفا: من أم كلثوم إلى داليدا" يسلّط الضوء على دور هؤلاء النساء اللاتي لا يزلن رموزا وأيقونات خالدة في المجتمعات العربية.

ويضم المعرض الذي يتواصل حتى السادس والعشرين من سبتمبر المقبل صورا ومقتنيات وفساتين لهذه المجموعة الكبيرة من الفنانات التي شملت أيضا أسماء مثل شادية وصباح وأسمهان وليلى مراد وراقصات مثل تحية كاريوكا وبديعة مصابني.

وعلى مساحة ألف متر مربع تربّع معرض الأيقونات وخصّص لكل فنانة جناحا خاصا بها، من ذلك جناح الفنانة المصرية أم كلثوم الذي أتى خلف ستارة حمراء مخملية، في مساحة مريحة تحاكي الأجنحة الخاصة في المسارح.

ويمكن التعرّف على "كوكب الشرق" كما لقّبت من خلال نظارتها الداكنة ووشاحها الذي لا يفارق يدها، حيث يستعرض المعرض مقتطفات من أغانيها الخالدة ومقابلاتها الصحافية التي تظهر مدى عظمة الالتزام السياسي والقومي لمن توقّفت عن الغناء بعد رحيل الرئيس المصري جمال عبدالناصر، وهي تعدّ أول امرأة في العالم العربي تصنع مسيرة فنية ضخمة بأكثر من 700 أغنية.

والأجواء نفسها تسود المساحة المخصّصة للفنانة الراحلة وردة الجزائرية، وهي التي بدأت حياتها الفنية في باريس. وقد طرد والداها اللذان كانا يمتلكان ملهى ليلي بعد أن اتهمتهما السلطات الفرنسية بتوفير وتسليم الأسلحة لمناضلي جبهة التحرير الوطني الجزائرية. وهو ما تكشفه حقائب السفر الخاصة بها وتوضّحه جوازات سفرها عبر مسيرة حياتها.

جناح وردة في المعرض يبيّن أن مهن هؤلاء المطربات ارتبطت أحيانا بالمنفى والذي يمكن أن يكون حتى داخليا أيضا مثل الفنانة اللبنانية فيروز.

وتوضّح أغلفة الألبومات وملصقات الأفلام والحفلات الموسيقية والمقاطع الموسيقية في جناح فيروز مسيرة الفنانة التي ظلت وفية للبنان. وما يُثبت هذا الوفاء الذي لازمها توقفها عن الغناء عندما هوت البلاد في الحرب الأهلية وعادت إليه حين ضمّد لبنان جراحه.

كما تحضر في المعرض صور للفنانة المصرية من أصل إيطالي داليدا التي ولدت في القاهرة في العام 1933. وبدأت مسيرتها السينمائية في فيلم "سيجارا وكاس" (كأس وسيجارة)، حيث جسّدت دور الراقصة سامية جمال.

ويعود المعرض إلى الجزء المصري من حياتها وينتهي بفيلم "اليوم السادس" ليوسف شاهين، حيث لعبت الدور الرئيسي قبل أشهر قليلة من انتحارها في العام 1987.

وتشير وفاتها، وفقا للتسلسل الزمني الذي رسمه القائمون على المعرض الباريسي، إلى نهاية حقبة بارزة. الثنائي اللبناني رندا ميرزا ووائل قديح يسدلان ستار معرض الأيقونات بتركيب على شكل صور ثلاثية الأبعاد، ترى جليا العملاقة تحية كاريوكا وسامية جمال ترقصان على أنغام موسيقى ساحرة مؤلفة من مقطوعات مأخوذة من أفلام مصرية.

ويسلّط المعرض الضوء، من خلال هؤلاء الفنانات على التاريخ الاجتماعي للمرأة العربية الفنانة خاصة ومكانتها في المجتمعات الأبوية، ومشاركتها في القومية العربية وفي النضالات من أجل الاستقلال من الاستعمار. بالإضافة إلى دورها المركزي في المجالات الفنية المختلفة التي ساهمت في إحداث ثورة فيها.

أم كلثوم، وردة، فيروز، سامية جمال، أسمهان وداليدا.. تبدو وجوههنّ منبثقة من الماضي لتروي للمُشاهد قصصا بعيدة، قصصهنّ الفنية والاجتماعية وحتى السياسية خلال ذروة النهضة بداية من أواخر القرن التاسع عشر وحتى وفاة الرئيس المصري عبدالناصر في العام 1970.

وفي خضم العروبة، استولى رواد المشهد العربي، الذين كانوا يحلمون بالتحرّر، على المسارح ومواقع تصوير الأفلام، ففي القاهرة تحديدا، بدأ كل شيء بظهور الملاهي التي قدّمت فيها منيرة المهدية، أول مسلمة، أداء ملحوظا على خشبة المسرح. كما أسّست بديعة مصابني مسارح العرض وفتحتها لعروض الرقص الشرقي عبر رقصة الخصوبة التي كانت منتشرة عند الأسلاف.

معهد العالم العربي في باريس يحتفي بالنجمات العربيات اللاتي غيّرن نظرة المجتمع الشرقي تجاه فنون الغناء والرقص والتمثيل

وفي هذه الفترة قامت الراقصات بتحديث حركات الرقص الشعبي من خلال إدخال الإحساس والإثارة عليه وجعله فنا شعبيا. ودعمت هؤلاء الفنانات الفاتنات، بأزيائهن المتلألئة أيضا تطوير السينما المصرية التي لقبت حينها بـ"هوليوود على النيل".

كما اعتمد الغناء في تلك الحقبة بشكل كبير على الأفلام، خاصة في القاهرة، ففي عشرينات القرن الماضي، توجّه العديد من فناني العالم العربي إلى مصر بحثا عن النجومية والخلود. كما كان الحال مع أسمهان، التي نافس صوتها الكريستالي الحزين صوت أم كلثوم.

وشقيقة فريد الأطرش كانت أميرة جبلية من سوريا، تخلّت عن عرشها وتوجّهت نحو القاهرة لتعيش فنها.. لكن الممثلة والمغنية توفيت في حادث سيارة غامض عن عمر ناهز 29 عاما، ومع ذلك ظلّ صوتها وجمالها حديث الملايين إلى اليوم.

فن.. حكايات وأسرار